قادة فتح طبرستان

(٣٩٩) الصحابي القائد الفاتح، سُوَيْد بن مقرِّن المزني رضي الله عنه فاتح «قومس»(١)، و«بِسطام»(٢)، و«جرجان»(٣)، و«طبرستان»(٤)، و«جبل جيلان»(٥)

هو الصحابي الجليل سُوَيْد بن مُقَرِّن بن عائذ بن ميجا بن هُجير بن نصر بن حُبْشِيَّة بن كعب بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان بن عَمْرو بن أدٍّ المزني، أخو النعمان ونعيم بن مقرن، ويُقال لولد عثمان بن عمرو وأخيه أوس: (مزينة)، ونسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وَبَرة، يُكنى أبا عائذ، وأبا عدي، وقيل: أبو عمرو(٦). ويكنى أبا علي أيضًا(٧).

قدم هو وإخوته على رأس أربع مئة فارس من مزينة على النبي ﷺ، فأسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة، وأول مشاهدهم مع الرسول ﷺ غزوة الخندق، وما بعدها من المشاهد والغزوات؛ وبذلك نال سُوَيد مع إخوته شرف صحبة النبي ﷺ وشرف الجهاد معه.

---

(١) قومس: تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل علىمدن وقرى ومزارع، انظر: التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ١٨٥)، وهي منطقة من مناطق الديلم. انظر المسالك والممالك: ص (١٢٢).

(٢) بسطام: مدينة كبيرة بقومس. انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٠٨) والمسالك ص (١٢٤).

(٣) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٧٥) وانظر المسالك والممالك ص (١٢٥) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤٨).

(٤) طبرستان: ولاية كبيرة أكبر مدنها آمل. انظر: التفاصيل في المسالك والممالك ص(١٢٤) وانظر معجم البلدان (٦/ ١٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢١٧).

(٥) جيل جيلان: جيلان ـ اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. وجبل جيلان: اسم جبل في تلك المنطقة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ١٩٤).

(٦) انظر: أسد الغابة: (٢/ ٦٠٠) ت (٢٣٦٠)، والإصابة (٣/ ١٩٠) ت (٣٦٢٣)، والاستيعاب ت (١١٢٨).

(٧) طبقات ابن سعد: (٦/ ٩٧).

❑ جهاده:

• قبل الفتح

قاتل سويد تحت راية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما خرج لقتال مانعي الزكاة من قبائل عبس وذبيان ومن انضم إليهم من كنانة وغطفان وفزارة، وكان سويد على ساقة جيش أبي بكر؛ ففر المشركون، وطاردهم المسلمون حتى موضع «**ذي القَصَّة**»[١].

وبعد عودة بعث أسامة بن زيد من أرض فلسطين خرج أبو بكر بنفسه في تعبية على رأس جيش من المسلمين إلى موضع (ذي حسًا)[٢]، و(ذي القصة) لقتال المرتدين، على مقدمته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن، وعلى ساقته سويد بن مقرن، حتى نزل أهل (الربذة)[٣] بـ(الأبرق)[٤]، فولى المرتدون الأدبار[٥].

وبعد انتهاء حروب الردة، وهي الحروب التي أعاد بها أبو بكر وحدة شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، قاتل سويد في ساحات العراق؛ فقاتل تحت لواء خالد بن الوليد، وكان على الجزاء في معركة (المذار)[٦]، وقد خلَّفه خالد بـ(الحفير)[٧]، وأمره بالحذر، وخرج خالد إلى (الوَلَجَة)[٨]؛ كما شهد فتح (الحيرة)[٩].

---

(١) ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا تلقاه نجد. أنظر: التفاصيل في معجم البلدان: (٧/ ١١٤). وانظر: الطبري: (٢/ ٤٧٨) حول خروج سويد إلى ذي القصة.

(٢) ذو حسا: واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٢٧٥).

(٣) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق. انظر: التفاصيل في معجم البلدان: (٤/ ٢٢٢).

(٤) الأبرق: أبرق الربذة، موضع من منازل بني ذبيان. انظر: التفاصيل في معجم البلدان: (١/ ٧٧).

(٥) الطبري: (٢/ ٤٧٩).

(٦) المذار: المذار في ميسان، وميسان بين واسط والبصرة، والمذار قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أميال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٤٣٣). وانظر الطبري (٢/ ٥٥٨) حول اشتراك سويد في معركة المذار.

(٧) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٠٣).

(٨) الولجة: موضع مما يلي البر في منطقة البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٤٣٣). وانظر: الطبري: (٢/ ٥٩٢) حول ذلك.

(٩) الطبري: (٢/ ٥٦٤).

وشهد سويد (القادسية)، وكان على إحدى مجنبتي سعد بن أبي وقاص، وعلى الأخرى حذيفة بن اليمان[١]، كما شهد مع سعد معارك الفتح الأخرى حتى فتح المدائن.

ولما تحرك أخوه النعمان بن مقرن المزني بقواته نحو (نهاوند)، قاتل سويد تحت لواء أخيه في معركة (نهاوند)، كما قاتل تحت لواء أخيه نعيم بن مقرن في معركة فتح (همذان) و(الري)، فأبلى في كل معاركه أعظم البلاء.

● **الفاتح:**

لما أرسل نعيم بن مقرن المزني إلى عمر رضي الله عنه بفتح الري كتب إليه عمر: «**قَدِّمْ سويد بن مقرن إلى «قومس»**، وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة، وعلى مجنبتيه عتبة بن النهاس، وهند بن عمرو الجملي»، فسار سويد نحو «**قومس**»، فلم يقم له أحد؛ فأخذها سِلْمًا، وعسكر بها، وكاتبه الذين لجئوا إلى «**طبرستان**» منهم، والذين أخذوا المفاوز، فأجابهم إلى الصلح والجزية، وكتب لهم بذلك.

وتحرك سويد إلى «**بِسطام**»، وعسكر بها، ومن هناك كاتب ملك «**جرجان**» «**زرنان صول**»[٢]، وكاتبه «زرنان صول»، وصالحه على «**جرجان**» على أن يؤدي الجزية، ويكفيه حرب «**جرجان**»، وأن يعينه سُوَيْد إن غلب، ولهم الذمة والمنعة والأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من سويد بن مقرن لزرنان صول بن رزبان وأهل «**دهستان**» وسائر أهل «**جرجان**»؛ إن لكم الذمة وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء[٣] في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم، ومن استعنَّا به

(١) الكامل.

(٢) في الطبري: «رزبان صول».

(٣) أي: الجزية.

منكم فله جزاء في معونته عوضًا عن جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يُغَيَّرُ شيء من ذلك هو إليهم ما أَدَّوْا، وأرشدوا ابن السبيل، ونصحوا، وَقَرُّوا المسلمين، ولم يَبْدُ منهم سل ولا غل...»(١) وَتَلَقَّاهُ «زرنان صول» قبل دخوله «**جرجان**»، فدخل معه، وعسكر بها حتى جَبَى الخراج، وَسَمَّى فروجها، فَسَدَّهَا بترك دهستان، ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين.

ولما وجد ملك (طبرستان) نفسه محاطًا بالمسلمين: من الجنوب باستيلائهم على (الري) ومصالحتهم أهل (قومس)، ومن الشرق بصلحهم مع أهل (جرجان)، وأنه لم يبق له منفذ إلى أرض فارس إلا من طريق (أذربيجان) المهددة هي أيضًا بالغزو، آثَرَ الصلح، فراسل سويدًا فيه، فَتَوَادَعَا وتصالحا على (طبرستان) وجبل (جيلان) بأن يدفع أهلها الجزية، وهم من بعد ذلك آمنون، لا يغار عليهم، ولا يمر أحد بأرضهم إلا بإذنهم(٢).

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة الرواة، ومن أصحاب الفتيا(٣).

● **القائد:**

كان سويد يهوى الجندية، ويفضل ميادين القتال ـ حيث الخطر الداهم ـ على سكنى القصور ـ حيث الأمان والدَّعَة ـ، ولم يحرص أبدًا على تولي القيادة، بل جاءته من غير مطالبة؛ لما كان يتحلى به من مزايا وخصال.

فقد كان سريع القرار صَحِيحَهُ، شجاعًا من غير تهور، ذا إرادة قوية نافذة، ونفسيته لا تتبدل في السراء والضراء، يثق بقواته ويحبهم، ويثقون به ويحبونه، وكان ذا شخصية قوية

وقابلية بدنية ممتازة، يتمتع بماض مشرف مجيد.

---

(١) الطبري: (٣/ ٢٣٣).

(٢) الطبري: (٣/ ٢٢٤).

(٣) انظر: «أصحاب الفتيا» ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ٣٢١.

ولعل أبرز مزايا قيادته مزيتان: مزية سَبْقِ النَّظَرِ، وهذه المزية جعلته يتفادى كثيرًا من المعارك التي لا مبرر لها بالمفاوضات تارة وبالحسنى تارة أخرى؛ ومزية حبه للمسئولية حتى في حالة عمله بقيادة عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالمركزية في إدارته أثناء السلم والحرب، ويحب أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة لتوجيه قادته وولاته بأدق تفاصيل أعمالهم.

لقد كانت معاهدة سويد التي عقدها مع ملك (جرجان) الفارسي جديدة عند مقارنتها بما سبقها من معاهدات، وقد عقدها سويد على مسئوليته، ولكن عمر بن الخطاب أَقَرَّهُ عليها بعد إطلاعه عليها.

لقد وجد سويد بثاقب نظره عند عقده تلك المعاهدة أنها تؤمن له نياته السليمة أولًا، وتثبت للفرس عمليًا بشكل لا يقبل الشك تلك النيات ثانيًا، ويلقي عن كاهل العرب المسلمين بعض مهمة الدفاع عن البلاد التي يفتحونها، وذلك بإشراك سكانها الأصليين بالدفاع عن بلادهم ثالثًا؛ خاصة بعد توسع الفتوحات وامتداد خطوط المواصلات إلى مسافات شاسعة، تلك الخطوط التي تربط بين قاعدة المسلمين الأصلية وهي جزيرة العرب، وقاعدتهم المتقدمة في العراق بين بلاد فارس؛ مما يضاعف تبعات قوات المسلمين ومسئولياتها في حماية خطوط مواصلاتهم وفي الدفاع عن البلاد المفتوحة، ويجعلهم مضطرين إلى الاستعانة بغيرهم للدفاع عن أنفسهم وللمشاركة في معاونة الفاتحين؛ خاصة وأن الظروف المحيطة بالمسلمين وبالفرس قد تبدلت عما كانت عليه في أيام الفتح الأولى، وأيام عقد المعاهدات الأولى بين المسلمين وبين الفرس؛ فأصبح (تطوع) الفارسي للدفاع عن نفسه أو مشاركته في تحمل بعض الواجبات العسكرية المحلية؛ كالحراسات الداخلية، والقيام بواجبات المحافظة على الأمن الداخلي، ومعاونة المسلمين بإقرار النظام، أو مشاركتهم في تحمل بعض الواجبات الإدارية التي لها مساس بالقضايا العسكرية، أو مشاركتهم في حماية خطوط المواصلات التي امتدت كثيرًا، ولا

تزال تزداد امتدادًا وتغلغلًا، وحتى المشاركة بأعباء القتال في صفوف المسلمين ضد أعدائهم، كل هذه الأعمال أصبحت في تلك الظروف لا تشكل خطرًا جديًّا على سلامة جيش المسلمين؛ لأنهم أصبحوا من القوة والمنعة بمكان، كما أن قوات أعدائهم (الأصلية) تحطمت نهائيًّا تحت ضربات المسلمين المتلاحقة الكاسحة، ولم تبق من قوات أعدائهم غير القوات الثانوية التي لا تشكل - من الناحية العسكرية - خطرًا داهمًا، كما أن قوات المسلمين أصبح موقفها رصينًا في البلاد المفتوحة من جهة، وَتَرَدَّتْ أحوال الدولة الفارسية المركزية والدويلات الفارسية المحلية من جهة أخرى.

أما في أوائل الفتح فلم تكن الظروف المحيطة بالمسلمين والفرس تساعد على إشراك المتطوعين من الفرس أو من غيرهم للقتال في صفوف المسلمين؛ لأن الفرس وأعداء المسلمين كانوا حينذاك أقوياء، وكان للفرس إمبراطورية قوية، وقد تؤدي خيانة المتطوعين من الفرس إلى كوارث عسكرية قاصمة.

إن إقدام سويد على وضع الجزية عن كاهل المتطوعين من الفرس وغيرهم للدفاع عن أنفسهم أو للقتال بجانب المسلمين كان حكيمًا جدًّا وفي محله.

وأؤكد هنا أن عمر رضي الله عنه لم يكن مركزيًّا في سيطرته؛ لأنه كان يحب السلطة ويريد الاستئثار بها دون غيره أو يحب التسلط على غيره، بل كان مركزيًّا؛ لأنه كان شديد الحرص على مصالح المسلمين الإدارية والعسكرية؛ فكان يشغل نفسه ليل نهار بالتفكير في تلك المصالح، ووضع أنجح الحلول لها بعد استشارات طويلة أو قصيرة حسب أهمية القضايا الراهنة؛ بذلك كان يقول: «إن أكمل الرجال رأيًا مَن إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل»[(١)].

لقد كان السلف الصالح رواد مصالح عامة لا طلاب مصالح ذاتية؛ لذلك كانوا يتعاونون جميعًا على تحقيق تلك المصالح للأمة، ولا يهمهم أبدًا كيف جاء

(١) الطبري: (٣/ ١٥١).

الرأي السديد ومن جاء به... كل همهم التوصل إلى الرأي السديد بصرف النظر عن صاحبه!!.

● **سويد في التاريخ:**

يذكر التاريخ لسويد جهاده المشرف في أيام النبي ﷺ، وثباته على الإسلام بعد التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى، ودفاعه عن الإسلام ضد المرتدين.

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح العراق، وفي تحمل إدارة بعض القضايا الإدارية أثناء الفتح وبعد إنجازه.

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح فارس تحت لواء أخيه النعمان بن مقرن المزني وتحت لواء أخيه نعيم بن مقرن المزني.

ويذكر له فتحه مناطق شاسعة من الإمبراطورية الفارسية.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، الإداري الحازم، القوي الأمين، القائد الفاتح، سويد بن مقرن المزني[١].

ورضي اللَّه عن ابن مسعود العليم بالرجال، والقائل: «إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مُقَرِّن».

❊ ❊ ❊

(١) قادة فتح بلاد فارس ص ١٩٩ - ٢٠١.

(٤٠٠) الصحابي القائد الفاتح سعيد بن العاص رضي الله عنه فاتح «طبرستان»، و«جرجان»

هو الصحابي الجليل سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة، سعيد بن العاص بن أُمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ، أبو عثمان[١]، والد عمرو بن سعيد الأشدق، ووالد يحيى، القرشي الأموي المدني الأمير. قُتِلَ أبوه يوم بدر مشركًا، قتله عليٌّ بن أبي طالب. وأمه أم كلثوم بنت عبداللَّه بن أبي قيس بن عمرو العامرية، قال أبو حاتم: له صحبة. كان له يوم مات النبي ﷺ تسع سنين.

يُقال: إن عمر قال لسعيد بن العاص: «لم أقتل أباك، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام»؛ فقال: ولو قتلته لكنتَ على الحق، وكان على الباطل. فأعجبه قوله.

وكان من فصحاء قريش؛ ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن.

قال سعيد بن عبدالعزيز: إن عربيَّة القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول اللَّه ﷺ.

عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ بِبُرْدَةٍ، فقالت: إني نذرت أن أُعطي هذه البردة لأكرم العرب. فقال: «**أعطيها لهذا الغلام**»، وهو واقف ـ يعني سعيدًا.

وقال مصعب الزبيري: كان يُقال له: عُكَّة العسل.

❑ جهاده وفتوحاته:

قال ابن حجر: «ولي الكوفة، وغزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة»[٢].

---

(١) انظر: الإصابة: (٣/ ٩٠) ت (٣٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء: (٣/ ٤٤٤) ت (٨٧).

(٢) الإصابة: (٣/ ٩٠ ـ ٩١).

وقال الذهبي: «**لما كان على الكوفة، غزا طبرستان؛ فافتتحها**»[١].

وقال البلاذري في فتح «**جرجان**» و«**طبرستان**» ونواحيها: ولي عثمان بن عفان ـ رحمه اللَّه ـ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الكوفة في سنة تسع وعشرين، فغزا سعيد طبرستان، ومعه في غزاته ـ فيما يُقال ـ الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. وقيل أيضًا: إن سعيدًا غزا طبرستان بغير كتاب أتاه من أحد، وقصد إليها من الكوفة، واللَّه أعلم.

ففتح سعيد «**طميسة**» و«**نامنة**» وهي قرية، وصالح ملك جرجان على مئتي ألف درهم، ويُقال: على ثلاث مئة ألف بغلية وَافَتْهُ. فكان يؤديها إلى غزاة المسلمين، وافتتح سعيد سهل طبرستان، و«**الرويان**» و«**دنباوند**»، وأعطاه أهل الجبال مالًا، وكان المسلمون يغزون طبرستان ونواحيها فربما أعطوا الإتاوة عفوًا، وربما أعطوها بعد قتال[٢].

● **الإنسان:**

قال الذهبي: «كان أميرًا، شريفًا، جوادًا، مُمَدَّحًا، حليمًا، وقورًا، ذا حزم وعقل، يصلح للخلافة».

ولي إمرة المدينة غير مرَّة لمعاوية، وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان بن عفان، وقد اعتزل الفتنة فأحسن، ولم يقاتل مع معاوية.

● **وفيه يقول الفرزدق:**

تَرَى الْغُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِذَا مَا الْأَمْرُ ذُو الْحَدَثَانِ عَالا

قِيامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالا[٣]

---

(١) السير: (٣/ ٤٤٥).

(٢) «فتوح البلدان» للبلاذري: ص ٣٣٠.

(٣) ديوان الفرزدق ص ٦١٥، ٦١٨، وخزانة الأدب: (٣/ ٧٤). والغر: جمع أَغَر: وهو الأبيض الغرة. والجحاجح جمع جحجاح: السيد السمح الكريم. والحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر، وعال: ثقل وفدح.

قال قبيصة بن جابر: قالوا لمعاوية: مَن ترى للأمر بعدك؟ قال: أما كريمة قريش، فسعيد بن العاص [(١)(٢)].

وقدم محمد بن عقيل بن أبي طالب، فقيل له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمي، وحسبك بسعيد بن العاص [(٣)].

قال ابن حجر: «قال معاوية: كريمة قريش سعيد بن العاص. وكان مشهورًا بالكرم والْبِرِّ، حتى كان إذا سأله سائل وليس عنده ما يُعطيه، كتب له بما يريد أن يعطيه مسطورًا، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار، فَوَفَّاهَا عنه ولده عمرو الأشدق» [(٤)].

وقال هشيم: قدم الزبير الكوفة، وعليها سعيد بن العاص، فبعث إلى الزبير بسبع مئة ألف، فقبلها.

وذكر عبدالأعلى بن حِمَّاد: أن سعيد بن العاص استسقى من بيت، فسقوه، واتفق أن صاحب المنزل أراد أن يبيعه لِدَيْنٍ عليه، فأدى عنه أربعة آلاف دينار.

ومات بطلنا الكريم الصحابي الجليل سعيد بن العاص سنة تسع وخمسين؛ كما قال الزبير بن بكار وخليفة وغيره.

فرضي اللَّه عن القائد الفاتح، عُكَّة العسل الكريم، سعيد بن العاص بن سعيد الأموي، وأنزله منازل الصادقين المجاهدين .. جزاء ما قدَّم لدينه، وما فتح من بلاد، تخفق راية الإسلام في ربوعها، ويعلو صوت الأذان من منائرها.

* * *

---

(١) «تاريخ دمشق» لأبي زرعة: (١/ ٥٩٢، ٥٩٣).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٣/٤٤٥، ٤٤٦).

(٣) الإصابة: (٣/ ٩١).

(٤) المصدر السابق.

(٤٠١) القائد الفاتح بطل بني الشُّدَّاخ
بُكَيْر بن عبدالله الليثي
فاتح شمال «أذربيجان» و«مُوقان»

هو الصحابي: بُكَيْر بن شداد بن عامر بن الملوح بن يعمر الشُّداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني الليثي فارس أطلال، هكذا نسبه الكلبي، قال ابن الأثير: وأظن الحق قول الكلبي؛ لعلمه بالنسب. وهو عند ابن حجر في «**الإصابة**»: بكر بن الشدَّاخ الليثي. وعند ابن الأثير: بكر بن شدَّاخ[1]، وفي كتب الفتوح يُسَمَّى بكير بن عبدالله الليثي؛ هكذا سماه ابن جرير، وابن الأثير في «**الكامل**»، وابن كثير في «**البداية والنهاية**»[2].

له صحبة، ولم يدرك شرف الجهاد تحت لواء النبي ﷺ، روى عنه عبدالملك بن يعلى الليثي أنه كان ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام، فلما احتلم جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني كنت أدخل على أهلك، وقد بلغت مبلغ الرجال. فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَدِّقْ قَوْلَهُ وَلَقِّهِ الظَّفَرَ**».

● **جهاده:**

قصد بكير العراق للجهاد في ساحاته، فأرسله سعد بن أبي وقاص على رأس سرية مؤلفة من ثلاثين رجلًا معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على (الحيرة)، فلما كانوا في الطريق، وجدوا أخت صاحب الحيرة في جماعة تُزَفُّ إلى أحد أشراف العجم، فحمل بكير على قائد تلك الجماعة، فدق عنقه، ثم استاق الأثقال والنساء والتوابع، فَصَبَّحَ سعدًا بما أفاء الله على المسلمين[3].

(١) انظر الكامل: (١/ ٤١١)، والإصابة (١/ ٤٥٣) ت (٧٢٨) وتجريد الصحابة (١/ ٥٥).
(٢) انظر تاريخ الطبري: (٤/ ١٥٣)، والكامل: (٢/ ٤٢٩)، والبداية والنهاية: (١٠/ ١٥٤).
(٣) الطبري: (٣/ ١٣).

وشهد تحت لواء سعد معركة (القادسية) الحاسمة، والمعارك التي تلتها حتى فتح (المدائن)، وكان سعد قد استعمله على قومه حين دخلوا العراق[١].

وحين أراد المسلمون أن يخوضوا نهر دجلة لفتح المدائن، تَهَيَّبَ الناس دخول الماء، فقال بكير مخاطبًا فرسه أطلال: «ثبي أطلال وثبًا وسورة البقرة»، فدخل الماء ودخله الناس خلفه... وله مع سعد أخبار كثيرة[٢]، كلها بطولات نادرة وتضحيات فذة.

وشهد كثيرًا من معارك فتح أرض فارس، ولما أذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض العجم، وبعث عتبة بن فرقد السُّلمي وبكير بن عبدالله، وعقد لهما لواء (أذربيجان) وفرقها بينهما؛ فجعل لكل منهما هدفًا محدودًا، أمر عتبة أن يتقدم لفتحها من (حلوان) إلى ميمنتها (جنوبي أذربيجان)، وأمر بكيرًا أن يتقدم لفتحها من (الموصل) إلى ميسرتها (شمالي أذربيجان)، ثم أمد بكيرًا بسماك بن خرشة الأنصاري - وليس بأبي دجانة -، على رأس قوة من مجاهدي (الري) بعد فتحها، فسار سماك نحو بكير، وكان بكير قد اصطدم بالقوات الفارسية في منطقة جبال (جرميذان)[٣]، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان، ولكن سرعان ما انهزم الفرس، وأخذ بكير قائدهم (أسفنديار)[٤] أسرًا، فقال له قائد الفرس: «الصلح أحب إليك أم الحرب؟»، فقال بكير: «بل الصلح!!»؛ قال: «فامسكني عندك؛ فإن (أذربيجان) إن لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم، لم يقوموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها، ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما»، فأمسكه عنده، وصارت البلاد إليه، إلا ما كان من حصن. ولما قدم سماك **مُمِدًّا** و«**أسفنديار**» في أساره، وقد افتتح ما يليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه، وكتب بكير إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في

---

(١) الإصابة: (١/ ٤٥٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) جبال في منطقة أذربيجان.

(٤) في الطبري: «إِسْفَنْدِياذ» بالذال.

التقدُّم، فأذن له أن يتقدم نحو «**الباب**»، وأنْ يستخلف على ما افتتحه، فاستخلف عليه عتبة بن فرقد، فَأَقَرَّ عتبة سماك بن خرشة على عمل بُكير الذي كان افتتحه، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد، وكان «**بهرام بن فرخزاذ**» قصد طريق عتبة، وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة، فاقتتلوا؛ فانهزم بهرام، فلما بلغه خبر «**أسفنديار**» وهو في الأسر عند بُكير قال: الآن تَمَّ الصلح. وَطُفِئَتِ الحرب، فصالحه، وأجاب إلى ذلك أهل أذربيجان كلهم، وعادت «**أذربيجان**»[1] سِلْمًا، وكتب بذلك بكير، وعتبة إلى عمر وبعثا بما خَمَّسَا»[2].

وأسرع بكير يريد (باب الأبواب)[3]، فسبق سراقة بن عمرو إليها، ولما وصل سراقة منطقة (باب الأبواب)، جعل بكيرًا على إحدى مجنبتيه[4]، وبعد فتح باب الأبواب بعثه سراقة لفتح (موقان)[5]؛ ففتحها، وفرض على أهلها الجزية.

وكان فتح «**أذربيجان**»، و«**الباب**»، و«**موقان**» سنة (٢٢ هـ)، وقد ذكر الطبري نَصَّ وثيقةِ الصلحِ بين بكيرٍ وأهلِ «**موقان**»؛ فقال: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى بكير بن عبداللَّه أهل «موقان» من جبال «القبج» الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار على كل حالم أو قيمتها، والنصح، ودلالة المسلم، ونزله يومه وليلته، فلهم الأمان ما أَقَرُّوا ونصحوا، وعلينا الوفاء، واللَّه المستعان، فإن تركوا ذلك، واستبان منهم غشٌّ، فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم، وإلا فهم متمالئون»[6].

---

(١) أذربيجان: معناها بالفارسية: أرض النار أو معابد النار، وقد أُطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك. وأذربيجان مملكة كبيرة والغالب عليها الجبال وأشهر مدنها «تبريز» وهي قصبتها، وأكبر مدينة بها «أردبيل» ومن مدنها «المراغة»، و«أرمية»، و«خوى»، و«سلماس»، و«مرند»، و«موقان». انظر معجم البلدان (١/ ١٥٩).

(٢) الطبري: (٣/ ٢٣٤)، والكامل (٢/ ٤٢٩)، والبداية والنهاية (١٠/١٥٤).

(٣) «باب الأبواب»: ويقال لها «الباب» ميناء كبير على بحر الخزر.

(٤) الطبري: (٣/ ٢٣٥)، والكامل: (٢/ ٤٣٠).

(٥) موقان: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي، وهي بأذربيجان.

(٦) الطبري: (٣/ ٣٧).

● **لله دره من بطل يغضب للمحارم إذا استُحِلَّتْ؛ كما يغضب النَّمِر إذا حُرِبَ:**

انظر إلى غيرة بطلنا ابن الشدَّاخ لمحارم اللَّه إذا اسْتُحِلَّتْ؛ كما يغضب النمر إذا حُرِبَ؛ «لما كان في خلافة عمر، جاء وقد قتل يهوديًّا، فَأَعْظَمَ ذلك عمر، وخرج، وصعد المنبر، وقال: أفيما وَلَّاني اللَّه واستخلفني تُقْتَلُ الرجال؟! أُذَكِّرُ اللَّهَ رَجُلًا كان عنده علم إلا أعلمني. فقام إليه بكير ابن الشدَّاخ فقال: أنا به. فقال: اللَّه أكبر، بُؤْتَ بدمه، فهات المخرج. فقال: بلى، خرج فلان غازيًا، ووكَّلني بأهله، فجئت بابه، فوجدت هذا اليهودي في منزله، وهو يقول:

وَأَشْعَثُ غَرَّهُ الإِسلامُ مِنِّي ... خَلَوْتُ بِعُرْسِهِ لَيْلَ التَّمَامِ

أَبِيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا[1] وَيُمْسِي ... عَلَى قَوَدِ الأَعِنَّةِ وَالْحِزَامِ

كَأَنَّ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ[2] مِنْهَا ... فِئَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى فِئَامِ[3]

قال: فَصَدَّقَ عمر قوله، وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ[4]

● **لله دره من بطل:**

لقد كان رجلًا غيورًا غاية الغيرة، شهمًا غاية الشهامة، ورعًا تقيًّا صادقًا وفيًّا، يحرص على رفع راية الإسلام أكثر مما يحرص على روحه التي بين جنبيه، فلا يكاد ينتهي من فتح إلا ويطالب قائده الأعلى عمر بن الخطاب أن يبعثه إلى جبهة أخرى، ثم لا يبالي أن يكون قائدًا مرءوسًا أو جنديًّا بسيطًا، وتلك تضحية لا يصبر على مثلها غير الذين نذروا أنفسهم لله... وما أقلهم!!

● **القائد:**

تمتاز قيادة بكير بميزة الحرص على إحلال السلام، وتشبعه بروح التسامح حتى مع الذين يتغلب عليهم بعد قتال.

وقد كان شجاعًا مِقدامًا لا يهاب الموت، والحق أنه كان يهوى الجهاد في سبيل

---

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر.

(٢) الرَّبلات: أصول الأفخاذ . . انظر اللسان: (٣/ ١٥٧١).

(٣) الفئام: الجماعة من الناس.

(٤) أسد الغابة: (١/ ٤١٢).

الله، ويفضل دائمًا أن يكون (غازيًا) على أن يكون (واليًا).

وكان له قابلية على إصدار القرارات السريعة الصحيحة، ذا شخصية نافذة وإرادة قوية، وكان يثق برجاله ويثقون به، ويحبهم ويحبونه، له ماض ناصع مجيد في خدمة الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

يقول فيه الشاعر الشماخ:

وذكَّرني أهل القوادس أنني	**رأيت رجالًا واجمين بأَجمالِ**
وغُيِّبَ عن خيلٍ بموقان أسلمت	**بكير بني الشدَّاخ فارس أطلالِ**
لقد كان يروي سيفه وسنانه	**من العنق الداني إلى الحجر البالي**
وقد علمت خيل بموقان أنه	**هو الفارس الحامي إذا قيل: نزال[1]**

● **بكير في التاريخ:**

أصبحت (أذربيجان)، و(موقان)، و(باب الأبواب) بعد فتحها الخطوط الدفاعية الأمامية للمسلمين للدفاع عن بلاد فارس، ولكنها بعد انتشار الإسلام فيها أصبحت القاعدة المتقدمة لانطلاق المسلمين منها شمالًا لفتح أرمينية، وتركستان، والقفقاس؛ لذلك كان فتح بكير نصرًا سوقيًا (استراتيجيًا) للمسلمين، جَنَوْا ثمراته بعد حين في ضم مناطق واسعة إلى بلادهم، وَجَنَوْا ثمراته في الانطلاق شمالًا لتوسيع رقعة انتشار الإسلام.

إن التاريخ يذكر لبكير فضله العظيم في فتح هذه المناطق الواسعة الغنية الآهلة بالسكان، فهل يذكر سكان تلك المناطق ـ وكلهم مسلمون ـ أول من نشر الإسلام في ربوع بلادهم؟!

رضي الله عن الصحابي الجليل، الشهم الغيور، القائد الفاتح، خادم رسول الله ﷺ، بكير بن عبدالله الليثي[2].

---

(۱) ديوان الشماخ ص ٤٥٦، ومعجم البلدان: (٨/ ١٩٩)، وأسماء الخيل لابن الأعرابي (٥٣).

(۲) قادة فتح بلاد فارس: ص ۲۰۸.

(٤٠٢) القائد الفاتح ذو النور
سُراقة بن عَمْرو رضي الله عنه
فاتح «باب الأبواب»[1]

قال ابن حجر: «سراقة بن عمرو، لقبه ذو النور. قال أبو عمر: ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه. وكان أحد الأمراء بالفتوح، وقد ذُكِرَ غير مرَّة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة»[2].

وعلى هذا نال سراقة شرف الصحبة لنبينا ﷺ، وَفَاتَهُ الجهاد تحت رايته.

● جهاده:

قال ابن كثير: «قال ابن جرير[3]: وزعم سيف أنه[4] كان في هذه السنة[5] كتب عمر بن الخطاب كتابًا بالإمرة على هذه الغزوة لسُرَاقة بن عمرو ـ الملقب بذي النور ـ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة، ويُقال له: ذو النور أيضًا. وجعل على إحدى المُجَنِّبَتَيْنِ حُذيفة بن أُسيد، وعلى الأخرى بُكير بن عبدالله الليثي ـ وكان قد تقدَّمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة، فساروا كما أمرهم

(١) باب الأبواب: ويقال لها: (الباب) أيضًا. ميناء كبير على بحر (الخزر)، وهي مدينة كبيرة محصنة، وفي وسطها مرسى للسفن، وبين هذا المرسى البحر قد بنى على حافتي البحر سدان، حتى ضاق مدخل السفن وجعل المدخل ملتويا، وعلى فم المدخل سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر. وإلى جانبها جبل عظيم يجمع في قمته كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار إن احتاجوا إليه لينذروا أهل المناطق المجاورة بالعدو إذا داهمهم. انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٩ - ١١٠) ومعجم البلدان (٢/ ٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦).

(٢) انظر الاستيعاب ت (٩١٩)، و«الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٤٣)، وأسد الغابة (٢/ ٤١١) ت (١٩٥٢)، والإصابة (٣/ ٣٤) ت (٣١١٩)...

(٣) تاريخ الطبري: (٤/ ١٥٥).

(٤) أي: فتحُ الباب.

(٥) أي: سنة ٢٢ هـ.

عمر، وعلى تعبئته، فلما انتهى مُقَدَّم العساكر ـ وهو عبدالرحمن بن ربيعة ـ إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو «**شَهْرَبَراز**»[(١)] ملك «**أرمينية**»، وهو من بيت المَلِك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان، فكتب «**شَهْرَبَراز**» لعبدالرحمن واستأمنه، فأمَّنه عبدالرحمن بن ربيعة، فقدم عليه المَلِك، فأنهى إليه أنَّ صَغْوَهُ[(٢)] إلى المسلمين، وأنه مناصح للمسلمين [وقال: إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الحَسَبِ وَالْعَقْلِ أنْ يُعِينَهُمْ على ذي الحَسَبِ، ولستُ من «**القبج**» ولا «**الأرمن**» في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم، ويدي مع أيديكم، وجزيتي إليكم، والنصر لكم، والقيامُ بما تحبون، فلا تسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوِّكم][(٣)]. فقال له: إنَّ فوقي رجلًا فَاذْهَبْ إليه. فبعثه إلى سُرَاقة بن عمرو أمير الجيش، فسأل مِن سراقة الأمان، [فَقَبِلَ منه سراقة ذلك، وقال: لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو. فأجابه إلى ذلك][(٤)] فكتب إلى عمر، فأجاز ما أعطاه الأمان، واستحسنه، فكتب له سراقة كتابًا بذلك»[(٥)].

وهذا نص وثيقة الصلح بين سراقة وملك باب الأبواب:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شَهْرَبَراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملتهم؛ ألا يضاروا، ولا ينتقصوا، على أهل أرمينية والأبواب الطُّرَّاء منهم والثناء ومن حولهم فدخل معهم، أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحًا، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر، والحشر عوض من جزائهم، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل «أذربيجان» من الجزاء

---

(١) وفي الكامل «شهريار».
(٢) مَيْله. والصغو: المَيْل.
(٣)، (٤) ما بين القوسين من «الكامل» (٢/ ٤٣٠).
(٥) البداية والنهاية: (١٠/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

والدلالة والنزل يومًا كاملًا، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به.. وشهد عبدالرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكير بن عبدالله، وكتب مرضي بن مقرن المزني وشهد»[١].

أقول: لا توجد مثل هذه الشروط الرحيمة في وثائق الصلح بين الغالب والمغلوب حتى بعد تثبيت قوانين الحرب والحياد في القانون الدولي، فمن يريد دليلًا على ذلك فليقارن بين ما جاء في هذه الوثيقة التي كانت في القرن السابع وبين نصوص معاهدة «**فرساي**» بين ألمانيا من جهة والحلفاء من جهة ثانية في نهاية الحرب العالمية الأولى؛ أي: في القرن العشرين.

وقد صدق من قال: «**لم يشهد العالم فاتحين أكثر عطفًا ورحمةً وتسامحًا من العرب**».

ثم بعث سراقة بُكَيْرًا، وحبيب بن مسلمة[٢]، وحذيفة بن أُسيد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللّان وتَفْليس وموقان، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر؛ فافتتح بُكَيْرٌ «**موقان**» وكتب لهم كتاب أمان، ولم يفتح أحد من هؤلاء القادة ما وُجِّهَ له إلا بكير.

ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك، وهو سراقة بن عمرو، واستخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أَقَرَّهُ على ذلك، وأمره بغزو الترك[٣].

وفي فتح «**باب الأبواب**» قال سراقة بن عمرو شعرًا:

ومن يك سائلًا عني فإني ... بأرض لا يؤاتيها القرار
بباب الترك ذي الأبواب دار ... لها في كل ناحية مغار

---

(١) الطبري: (٤/ ١٥٥).
(٢) أمدّه به عمر بن الخطاب، صرفه إليه من الجزيرة.
(٣) البداية والنهاية: (١٠/ ١٥٦).

نذود جموعهم عما حوينا ... ونقتلهم إذا باح السَّرار[1]
سددنا كل فرج كان فيها ... مكابرة إذا سطع الغبار
وألحمنا الجبال جبال قبج ... نناهبهم وقد طار الشرار
على خيل تعادي كل يوم ... عتادًا ليس يتبعها المهار[2]

● **القائد:**

«كان سراقة يَتَحَمَّلُ المسئولية الكاملة؛ فهو يفكر ويقدر، فإذا اقتنع برأيٍ أَبْرَمَهُ على مسئوليته الخاصة متحملًا كافة نتائجه برحابة صدر عن طيب خاطر.

لقد كان جريئًا غاية الجرأة في إعطاء القرارات؛ فقد رأيت كيف صالح ملك (باب الأبواب) صلحًا مبتكرًا حَقًّا، ثم أخبر بقراره هذا مَرْجِعَهُ الأعلى بعد إبرامه، فما كان من مَرْجِعِهِ عمر بن الخطاب إلا أن أجاز ما أبرم سراقة واستحسنه، كما أنه سَيَّرَ الجيوش إلى المناطق المحيطة بـ(الباب) قبل الرجوع إلى الخليفة، وفي هذه المرة خشي عمر نتائج إقدام قائده سراقة على مثل هذا العمل الجريء، وحسب لنتائجه ألف حساب.

وليس من السهل أن يصدر سراقة أو أي قائد آخر قرارات جريئة مبتكرة لم يسبق لها مثيل، وفي عهد يتولى فيه القيادة العليا مثل عمر بن الخطاب الذي كان يميل إلى المركزية، ويتدخل في كل كبيرة وصغيرة من أمور القادة المرءوسين حرصًا على أرواح المسلمين ومصائرهم؛ مما يدل على أن سراقة كان يتمتع بشخصية قوية وإرادة حديدية وعقلية راجحة، كل ذلك جعله يمضي قُدُمًا في تنفيذ أجرإ القرارات في أحرج المواقف والظروف.

---

(١) السرار: سرر الشهر بفتحتين، آخر ليلة منه، وكذا (سراره) بفتح السين وكسرها، وهو مشتق من قولهم: استسر القمر، أي خفي ليلة (السرار) فربما كان ليلة وربما كان ليلتين. وإذا باح السراء: معناها إذا بزغ القمر وانكشف محاقه.

(٢) معجم البلدان: (٢/ ١٢).

● **سراقة في التاريخ:**

لا تقتصر أهمية فتح (باب الأبواب) على نشر الإسلام في منطقة شاسعة من الأرض، غنية بالثروة الزراعية والحيوانية؛ بل إن لفتحها أهميةً خاصةً؛ وهي: أنها أصبحت القاعدة المتقدمة لقوات المسلمين في حركاتهم العسكرية شمالًا باتجاه أرمينية وتركستان والقفقاس حتى حدود سيبيريا؛ لهذا كان فتح (باب الأبواب) نصرًا سوقيًّا (استراتيجيًّا) للمسلمين، ظهرت نتائجه البعيدة بعد سنوات قليلة من الفتح.

إن التاريخ يذكر لسراقة فتح (باب الأبواب) القاعدة المتقدمة للفتح الإسلامي باتجاه الشمال، ويذكر له نشره الإسلام في منطقة شاسعة من الأرض وبين أقوام وأمم مختلفة، ويذكر له جرأته الفذة في إصدار القرارات الجريئة وتحمله نتائجها بشجاعة وإصرار.

إنه قضى كل حياته مجاهدًا في سبيل عقيدته؛ فمات غريبًا في بلاد نائية عن بلاده، وهو في خضم جهاده، فسقط ميتًا ولم يسقط السيف من يده.

رضي الله عن الصحابي الجليل، البطل المقدام، القائد الفاتح، سراقة ذي النور بن عمرو»[١].

---

(١) قادة فتح بلاد فارس: ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٤٠٣ ـ ٤٠٥) سِمَاك وسِمَاك وسِمَاك
«اللهم بارك فيهم واسْمُك بهم الإسلام»

❑ (٤٠٣) القائد أسد خزيمة سماك بن مَخْرَمَة الأسدِي

● قائد المقدمة في فتح «قومس» و«بسطام» و«جرجان» و«طبرستان»

هو الصحابي سماك بن مخرمة بن حمير بن ثابت الأسدي، أسد خزيمة هكذا سمّاه ابن حجر، وسماه ابن الأثير: «**سِماك بن مَخْرمة بن حُمَين بن ثابت بن الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة الهالكي الأسدي**»[(١)] .

ذكره حمزة بن يوسف في «**تاريخ جرجان**» فيمن دخلها من الصحابة. وهو خال سماك بن حرب وبه سُمّي.

قال أبو عمر: له صحبة. وعن ابن معين أنه قال: إنه من الصحابة.

❑ جهاده:

أبلى سماك بن مخرمة بلاء حسنا في معارك فارس فعرف له عمر قدره.

ولما كتب نعيم بن مقرن المقرني على عمر بن الخطاب بفتح «**الرّى**» كتب عمر إليه «قدِّم سويد بن مقرن إلى «**قومس**» وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة، وعلى مجنبتيه عتبة بن النّهاس، وهند بن عمرو الجملي»[(٢)] ، فساروا إلى قومس فلم يجدوا مقاومة، ففتحوها سلما، ومنها إلى بسطام، وفتحوا «**جرجان وطبرستان**» وأنزل اللَّه نصره على جنده وتم فتح إقليم طبرستان.

وكان سماك بن مخرمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبسي، وسماك بن خرشة

---

(١) انظر الإصابة: (١٤٧/٣) ت (٣٤٨١)، و«أسد الغابة»: (٥٥٢/٢) ت (٢٢٣٨) والاستيعاب ت (١٠٦٧)، و«تاريخ جرجان» (٤٥، ٤٦).

(٢) الكامل والطبري.

الأنصاري؛ وليس بأبي دجانة ـ هؤلاء الثلاثة أول من ولي مسالح «**دَسَتَبي**» من أرض همذان، وقدم هؤلاء الثلاثة على عُمر في وفود أهل الكوفة بالأخماس، فانتسبوا له: سماك، وسماك، وسماك، فقال: بارك الله فيكم، اللهم اسمُك بهم الإسلام، وأيِّد بهم[١] .

❏ (٤٠٤) أما سَمِّيُه: سَماك بن عُبيد العبسي:

فهو صحابي جليل، وأنه هو الذي أسر دينارًا الفارسي في فتوح همذان، وكان دينار ـ وهو أحد ملوك فارس ـ في ثمانية أنْفُس، فقتلهم سَماك بن عُبيد، وأحضر دينارًا إلى حذيفة، فصالحه، وعاش دينار إلى آخر خلافة معاوية، ولم يصرح أحد بإسلامه[٢] .

ودينار هذا هو الذي دخل الكوفة أيام معاوية فقال: يا أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان، ثم تغيرّتم وفَشت فيكم خصال أربع: بخل، وخَبٌّ[٣] ، وغدر، وضيق، ولم يكن فيكم واحدة منهن. وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم فعلمت مِن أين أُتيتم، فإذا الخبّ من قِبل النبط، والبخل من قِبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قِبَل الأهواز[٤] .

❏ (٤٠٥) أمّا: سماك بن خرشة الأنصاري:

فهو صحابي جليل[٥] وهو آخر غير أبي دجانة سَمِيِّه، شهد القادسية وله ذكر في فتح «**الري**».

---

(١) الإصابة: (١٤٧/٣)، وأسد الغابة: (٥٢٢/٢).
(٢) الإصابة ١٤٨/٣
(٣) الخَبّ: الخداع والغش.
(٤) الكامل ٤٢١/٢.
(٥) انظر الإصابة ١٤٦/٣ ت(٣٤٧٨).

ولما أمر عمر بن الخطاب بكير بن عبداللَّه أن يتقدّم لفتح أذربيجان من الموصل إلى مسرتها شمالي أذربيجان[1] أمدّه بسماك بن خرشة الأنصاري بطلنا هذا فما وصل إلى بكير إلّا بعد أسر بُكير لقائد الفرس «**اسنفدياذ**» وهزيمة الفرس، ولما سار بكير نحو «**باب الأبواب**» استخلف على أذربيجان عتبة بن فرقد، فأقرّ عتبة سمّاك ابن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه[2].

❊ ❊ ❊

(١) الطبري (٣/٢٢٤).

(٢) الكامل (٢/٤٢٩).

(٤٠٦) القائد البطل عتيبة بن النَّهَّاس العجليّ
قائد أحد المجنَّبتينْ في فتح «قومس» و«جرجان» و«طبرستان»

هو الصحابي عُتيبة بن النهّاس العِجْلِي، واسم النَّهّاس عَبْدَل بن حنظلة بن يام بن الحارث. كان من كبار العجليين. له إدراك ومشاهد في خلافة أبي بكر الصديق(١).

● **جهاده:**

قال ابن ماكولا: كان شريفًا، وكان مع خالد بن الوليد باليمامة، واستعمله على اللهازم، حين سار إلى فاطمة. وكذا ذكره سيف في الفتوح، وقال: من الكماة الشجعان.

وذكره الطبري أيضًا، وأن العلاء الحضرمي أرسل إليه في أمر الردّة، وأخوه عتاب كان شريفًا.

وفي سنة ١٢ هـ «لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل، الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أُلَيّس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل منهم عتيبة بن النهّاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيّان، ومذعور بن عديّ، والمثنى بن لاحق أشد الناس على أولئك النصارى»(٢) ونصر اللّه أبطال المسلمين وأذل النصارى والفرس حتى جرى النهر بدمائهم ووفى خالد بنذره لله «اللهم إن هزمتهم فَعَليّ ألا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم»(٣).

وفي سنة ١٣ هـ لما رجع المثنى إلى الأنبار بعد هجومه على الخنافس وسوق بغداد سرّح فرات بن حيّان التغلبي، وعتيبة بن النهاس، وأمرهما بالغارة على أحياء

---

(١) انظر الإصابة: (٥/٩٤) ت (٦٤٢٨).
(٢) الكامل: (٢/٢٤١).
(٣) الكامل: (٢/٢٤٢).

مِن تَغْلب بصفِّين. ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي، فلما دنوا من صفين فرّ من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه فأكلوا رواحلهم إلا ما لا بدّ منه حتى جلودها ثم أدركوا عيرًا من أهل دَبا، وحَوْران، فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقال لهم: دلّونا. فقال أحدهم: أمِّنوني على أهلي ومالي وأدلّكم على حي من تغلب غدوت من عندهم اليوم. فأمّنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشيَّ على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فبث غارته، فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الأموال(١).

وفي سنة ٢٢ هـ وبعد أن كتب نُعَيْم بن مقرن إلى عمر بن الخطاب بفتح الريّ كتب عمر إليه «قدِّم سويد بن مقرن على **«قومس»** وابعث على مقدمته سماك بن خرشة وعلى مجنبتيه عتيبة بن النهاس، وهند بن عمرو الجملي(٢) فساروا إلى قومس فلم يصادفوا مقاومة وفُتحت سلما ثم بعد ذلك جرجان حتى فتحوا إقليم طبرستان بأكمله كما ذكرنا من قبل وفي سنة ٣٤ هـ كان عتيبة على حلوان في خلافة عثمان فرضي اللَّه عن البطل القائد الفارس عتيبة بن النهاس العجلي.

* * *

(١) الكامل: (٢/٢٩٣).
(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة: (٦/٤٥١) ت (٩٠٧٥)، وقال: أدرك الجاهلية وولّاة عمر على نصارى تغلب سنة سبع عشرة وقُتِل يوم الجمل مع علي.

(٤٠٧) الصحابي البطل الكرّار
قائد الميمنة في فتح «تستر» . الذي قتل مائة مبارز
حادي الشهداء الشجعان إلى أعالي الجنان
مجاب الدعوة الشهيد
البراء بن مالك بن النضر الأنصاري رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حَرَام بن جُندَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار، الأنصاري البخاري المدني.

«البطل الكرّار صاحب رسول اللّه ﷺ ، وأخو خادم النبي ﷺ ، أنس بن مالك»[١] .

قال ابن سعد: أمه أم سُلَيم بنت ملحان، وكذا قال ابن الأثير في «**أسد الغابة**»[٢] .

قال أبو حاتم: هو أخو أنس لأبيه. وقال ابن حجر معلقا على كلام ابن سعد: «وفيه نظر،لأنه سيأتي في ترجمة شريك بن سَحْمَاء أنه أخو البراء بن مالك لأمه أمهما سحماء، وأما أم أنس فهي أم سليم بلا خلاف»[٣] .

- **فضله:**

لله دره من مخلص مجاب الدعوة أثنى عليه رسول اللّه ﷺ : عن أنس رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١/١٩٥). انظر ترجمته في «أسد الغابة»: (١/٣٦٣) ت (٣٩١)، والاستيعاب: (١٧٣)، والإصابة: (١/٤١٣)، ت (٦٢٠).

(٢) طبقات ابن سعد: (٧/١٢)، وأسد الغابة.

(٣) الإصابة: (١/٤١٣).

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«كَمْ مِن أَشعثَ أغبر ذي طِمْرَيْن لا يُؤْبَهُ له، لو أقسم على اللَّه لأبرّهُ، منهم البراء بن مالك»**[١].

وكان البراء حادي الرجال للنبي ﷺ قال أنس: كان البراء بن مالك حسن الصوت، وكان يرتجز لرسول اللَّه ﷺ في بعض أسفاره، فقال له: **«إياك والقوارير»** فأمسك[٢].

- **جهاده:**

شهد بطلنا أُحُدا والخندق والمشاهد بعد ذلك مع رسول اللَّه ﷺ وكان شجاعًا في الحرب له نكاية[٣]، وبايع تحت الشجرة[٤] ولم يشهد بدرا.

- **بعد رسول اللَّه ﷺ:**

كان لبطلنا أعظم النكاية في قتال المرتدين. ويوم اليمامة هو يومه

في تاريخ السرّاج عن أنس: أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء قال: فركب فرسه، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم؛ وإنما هو اللَّه وحده والجنة. ثم حمل، وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقي البراء محكم اليمامة فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف محكم اليمامة فضرب به حتى انقطع[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٥٣) في المناقب: باب مناقب البراء بن مالك، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم ٤٤٤٩، والأشعث: البعيد العهد بالتسريح والدهن والطمر: الثوب الخلق لا يُؤبه له: لا يُعرف ولا يعلم به لأبرّه: لصدّقه وجعله بارا غير حانث.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢٩١/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في الحلية: (٣٥٠/١).

(٣) طبقات ابن سعد: (١١/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٩٥/١).

(٥) الإصابة: (٤١٣/١، ٤١٤).

وروى البغوي عن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلًا يُقال له: حمار اليمامة، رجلا جسيما بيده السيف أبيض، فضربت رجليه، فكأنما أخطأته، وانقعر، فوقع على قفاه فأخذت سيفه، وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع[١].

وفي مسند بقي بن مخلد عن أبي إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين يوم اليمامة حتى ألجؤوهم إلى حديقة بها عدو اللَّه مسيلمة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم، فاحتِمُل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على حديقة حتى فتحها على المسلمون، ودخل عليهم المسلمون فقتل اللَّه مسيلمة.

وفي رواية أمر أصحابه أن يحتملوه على تُرس على أسنّة رماحهم، ويُلقوه في الحديقة فاقتحم إليهم، وشدّ عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة فجُرح يومئذ بضعة وثمانين جرحا.

قال أنس: رَمَى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة مِنْ بين رمية بسهم وضربة، فحُمل إلى رحله يُداوَي، وأقام عليه خالد شهرا يداوي جراحه[٢].

لله درك يا براء ودر أم درت عليك. .

أنت نسيج وحدك في البطولة يوم اليمامة. .

تجادل صناديد الشرك في حديقة الموت بمفردك، حتى تفتح بابها، واللَّه ما عقمت أمة أنجبتك. .

ولذا أقام خالد شهرا يداوي البراء حتى برء. فكم في جيشه مثل البراء. .

---

(١) الإصابة: (١/٤١٤).

(٢) الإصابة: (١/٤١٣ - ٤١٤)، وسير أعلام النبلاء: (١/١٩٦)، وتاريخ خليفة: (١٠٩)، والاستيعاب: (١/٢٨٧).

- **البراء يقتل مرزبان الزارة:**

بارز البراء مرزبان الزَّارة فطعنه فصرعه، وأخذ سلبه [١].

وروى البغوي بسند صحيح عن محمد بن سيرين، عن أنس، قال: دخلتُ على البراء بن مالك وهو يتغنَّى، فقلتُ له: قد أبدلك اللَّه ما هو خير منه فقال: أترهب أن أموت على فراشي؛ لا واللَّه ما كان اللَّه ليحرمني ذلك، وقد قتلت مائة منفردا سوى من شاركت فيه» [٢].

انظر إلى يقين البطل المغوار بربه وحسن ظنه بمولاه. .هو يعلم يقينا أن مولاه الكريم الذي لا يضيع عنده عمل العاملين، ولا ينقص ملك قيّمة، لن يحرم البطل من الشهادة . . ليحدو الشهداء إلى فراديس الجنان فطالما كان حاربهم في الدنيا في ساحات الحروب في أيام تندر فيها الرؤوس. . وتعال إلى يوم عدس البطل واستشهاده في فتح تُستر.

- **البطل قائد الميمنة في فتح «تستر» يفعل الأعاجيب ويدعو اللَّه أن يرزقه الشهادة فينالها بعد قتله مائة مبارزة:**

قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يَقْدَم بهم [٣].

سمعًا وطاعة للفاروق. . إن لم يكن في قيادة جيش بأكمله لإقدامه الذي لا يتصوره أحد فليكن قائدًا مرؤوسًا، قال البلاذري: «سار أبو موسى - الأشعري - إلى تُستر وبها شوكة العدو وحدّهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمّار

---

(١) أسد الغابة : (٢٠٦/١). والزارة: لفظ المرّة من الزار. وعين الزارة بالبحرين معروفة. والزارة قرية كبيرة بها. ومنها مرزبان الزارة وله ذكر في الفتوح وقد فتحت الزارة سنة ١٢ هـ في عهد الصدِّيق، وصولحوا. انظر الطبري، والكامل والبداية والنهاية أحداث سنة ١٢ هـ.

(٢) الإصابة: (٤١٣/١).

(٣) المستدرك للحاكم: (٢٩١/٣)، وابن سعد (١٣/٧)، والاستيعاب (٢٨٥/١)، والسير (١٦٩/١).

ابن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة، فقدّم عمار جرير بن عبداللّه البجلي، وسار حتى تستر، وعلى ميمنته يعني ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور، وعلى الخيل أنس بن مالك.

وعلى ميمنة عمار: البراء بن عازب، وعلى ميسرته حذيفة بن اليمان العبسي، وعلى خيله قرظة بن كعب الأنصاري، وعلى رجّالته النعمان بن مقرن المزني، فقاتلهم أهل تستر قتالا شديدا، وحمل أهل البصرة والكوفة حتى بلغوا باب تستر فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى استشهد رحمه الله، ودخل الهرمزان وأصحابه المدينة بشرٍّ حال، وقد قُتل منهم في المعركة تسعمائة، وأُسر ستمائة ضُربت أعناقهم بعد»[(١)].

«وقتل البراء بن مالك ـ يومئذ مائةً مبارزةً»[(٢)].

وفي الكامل لابن الأثير: «وقتل البراء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك في ذلك الحصار إلى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك».

في يوم تستر فقط يقتل البطل مائة مبارزة . . هذا واللّه من الأعاجيب وأقرب إلى الأساطير ولكنها واللّه الحقيقة بأسانيد صحيحة ترفها لأمتنا . .حدث عن بطلنا الولي مجاب الدعوة . . قال الذهبي عن باقي حروب البراء «**وقد اشتُهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة**»[(٣)]، أي بخلاف يوم تستر.

وعن ابن سيرين، قال: قال الأشعري ـ يعني في حصار تستر[(٤)] ـ للبراء بن مالك: أَنْ قد دُلِلْنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفرًا يدخلون معك فيه.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: (٨٥/٥)، البداية والنهاية: (٥٩/١٠)، والكامل: (٣٩١/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٩٦/١).

(٤) تستر: هي أعظم مدينة بخوزستان فيها قبر البراء بن مالك، كانت مشهورة بصناعة الثياب والعمائم، وعندما فُتحت جعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منها.

فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلا من قومك طريفا جلدا، فسمِّه لي. قال: ولِمَ؟ قال: لحاجة. قال: فإني أنا ذلك الرجل.

قال: دُلِّنا على سِرْب، وأردنا أن ندخُلَه. قال: فأنا معك. فدخل مجزأة أول مَن دخل، فلما خرج من السِّرب، شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب. فخرج البراء، فقاتلهم في جوف المدينة، وقُتِل رضي الله عنه وفتح اللَّه عليهم(١).

حاصر المسلمون المشركين أشهرا. . وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفًا، يكون لهم مرة ومرة عليهم، فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون: يا براء اقسم على ربك ليهزمنّهم لنا قال: «**اللهم اهزمهم لنا واستشهدني**». وكان مجاب الدعوة، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم اقتحموها، ثم دخلوا مدينتهم»(٢).

عن أنس مرفوعًا قال: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك**». وإن البراء لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء: إن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: إنك لو أقسمت على اللَّه لأبرّك، فأقسم على ربك. قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بالنبي صلى الله عليه وسلم فمنحوا أكتافهم وقُتِل البراء شهيدا»(٣).

- **إنه البراء. . إنه البراء**

قال ابن عبدالبر عنه: «كان البراء أحد الفضلاء، ومن الأبطال الأشداء»(٤).

«لما كان يوم العقبة بفارس، وقد زُوي الناس، قام البراء بن مالك فركب فرسه

---

(١) رجاله ثقات، لكنه منقطع. . ابن سيرين لم يسمع من البراء. . سير أعلام النبلاء: (١/١٩٦ - ١٩٧).

(٢) الكامل: (٢/٣٩٠)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٩).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم: (٣/٢٩٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن عبدالبر في الاستيعاب: (١/ ١٤٢).

(٤) الاستيعاب: (١/١٤١).

وهي تَوْجَى، ثم قال لأصحابه: بئس ما عودتم أقرانكم عليكم! فحمل البراء على العدو ففتح اللَّه على المسلمين به»[١].

سيذكُرني قومي إذا جَدّ جدهم   وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدرُ

قتل الهرمزان البراء بن مالك واستجاب اللَّه دعوة وليه المبارك الشجاع واستشهد البراء في فتح تستر سنة ١٧ هـ[٢] أو ٢٠هـ[٣].

فرضي اللَّه عن القائد الولي مجاب الدعوة حادى رسول اللَّه ﷺ الصحابي البراء بن مالك بن النضر النجاري الأنصاري.

* * *

(١) طبقات ابن سعد: (١٢/٧).
(٢) كما في الكامل لابن الأثير أحداث سنة ١٧هـ.
(٣) كما عند الذهبي في السير: (١٩٨/٢)، والاستيعاب: (١٤٢/١).

(٤٠٨) القائد الشهيد قائد الميسرة وبطل يوم «تُستر» من قتل مائة فارس مبارزة مجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه

هو الصحابي رئيس بكر بن وائل مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي رضي الله عنه.

ذكره البخاري في «**الصحابة**»

وقال ابن مندة وابن الأثير: لا يثبت. والراجح أنه يثبت فما كانوا يؤمرون إلا الصحابة وقد جعلع عمر على ميسرة جيش أبي موسى عند فتح «**تستر**».

ذكر الطبري أن أبا موسى بعث جيشا كثيفا، وأمّر عليهم سهيل بن عدي، وبعث معه البراء بن مالك ومَجْزَأة بن ثور في جماعة من سمّاهم فالتقوا فقتل الهرمزان مجزأة والبراء . . فذكر قصة[1] .

- **جهاده:**

لما سار أبو موسى إلى تستر وبها شوكة العدو وحدّهم، كان على ميمنته البراء بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي[2] .

قال ابن الأثير عن مجزأة بن ثور: «له أثر عظيم في قتال الفرس، قتل يوم فتح «**تستر**» مائة من الفرس، فقتله الهرمزان وقتل معه البراء بن مالك، فلما أُسِر الهرمزان وحمل إلى عمر أراد قتله، فقيل: قد أمَّنته.قال: لا أُؤمِّن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك فأسلم الهرمزان، فتركه عمر»[3] .

---

(١) انظر الإصابة: (٥/٥٧٥) ت (٧٧٤٦)، وأسد الغابة: (٥/٦٠) ت (٤٦٧٨).
(٢) فتوح البلدان: ص ٣٧٣.
(٣) أسد الغابة: (٥/٦٠).

- **البطل مجزأة يقتل مائة مبارزة في فتح تستر:**

عند الطبري، وابن الأثير وابن كثير في ذكر فتح تستر أن بطلنا مجزأة قتل مائة مبارزه مثل البراء بن مالك[١].

طال حصار المسلمين للمشركين أشهرا، وقد تزاحفوا مرات عديدة بلغت ثمانين زحفا وبعد أن اقتتلوا قتالا شديدا هزم المسلمون المشركين حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصّنوا به، وقد ضافت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمّنه[٢]، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه البلد، وهو مِن مَدْخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك، فانتدب لذلك رجال من الشجعان والأبطال، وجاءوا فدخلوا مع الماء - كالبَطِّ - إلى البلد، وذلك في الليل، فيُقال: كان أول من دخلها من المسلمين عبد اللَّه بن مغفل المزني، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم، وفتحوا الأبواب، وكبّر المسلمون فدخلوا البلد، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس، كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال: شهدت فتح تستر وذلك عند إضاءة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح، فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس، فما أحبُّ أنّ لي بتلك الصلاة حمر النعم[٣][٤].

وقال البلاذري: «إن رجلًا من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلّهم على عورة المشركين فأسلم، واشترط أن يفرض لولده ويفرض له، فعاقده أبو موسى على ذلك ووجّه رجلًا من شيبان يُقال له أشرس بن عوف فخاض به بُجيل على

---

(١) انظر تاريخ الطبري: (٨٥/٥)، والكامل: (٣٩١/٢)، والبداية والنهاية: (٥٩/١٠).

(٢) الذي في الطبري: (٨٥/٤)، والكامل: (٣٩١/٢) أن الرجل طلب الأمان من النعمان وليس من أبي موسى.

(٣) احتج البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال. وجنح إليه البخاري.

(٤) البداية والنهاية: (٥٩/١٠ - ٦٠).

عرق من حجارة ثم علا به المدينة وأراه الهرمزان، ثم ردّه إلى العسكر، فندب أبو موسى أربعين رجلًا مع مجزأة بن ثور، وأتبعهم مائتي رجل وذلك في الليل والمستأمن يقدمهم، فأدخلهم المدينة، فقتلوا الحرس وكبّروا على سور المدينة، وقتل أبو موسى من كان في القلعة ممن لا أمان له»(١).

ولقد ذكرنا في ترجمة البراء أن أول من خاض في مدخل الماء حتى دخل المدينة هو البطل العظيم مجزأة بن ثور.

نعم البطل العظيم المغوار الذي جعله اللَّه سببا في «فتح تستر». . بعد أن دَلَّهم رجل من فارس على منفذ خفيّ، ونفق تحت الأرض يصل بين المدينة والنهر، وذلك بعد أن طال الحصار نحوًا من سنة، سار مجزأة على رأس ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين، يُصارعون هذا النفق الخطير ويعبرونه، وابتلع النفق مائتين وعشرين رجلا. . وانقض مجزأة سيد بني بكر وصحبه على حُماة الحصن، وفتحوا الأبواب وهم يكبّرون.

يقول الطبري عن حصار تستر، في أحداث سنة سبع عشرة: «قتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار، إلى أن فتح اللَّه على المسلمين مائة مبارز، سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك، وقتل كعب بن سور مثل ذلك، وقتل أبو تميمة مثل ذلك، في عدة من أهل البصرة، وفي الكوفيين مثل ذلك، منهم: حبيب بن قرّة، وربعّي بن عامر، وعامر بن عبد الأسود ـ وكان من الرؤساء ـ في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم»(٢).

* * *

(١) فتوح البلدان: ص ٢٧٣، السير: (١/١٩٦ ـ ١٩٧).
(٢) تاريخ الطبري: (٥٠١/٢) طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤٠٩) الصحابي الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث راوية الإسلام، خادم رسول اللَّه ﷺ، وقائد الخيل في فتح تستر. أبو حمزة الأنصاري الخزرجيّ النجاري المدني أنس بن مالك بن النضر رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عديّ بن النجار، وأمه أم سُليم بنت ملحان - رضي اللَّه عنها -.

قال أنس رضي الله عنه: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة وأنا عشر، ومات وأنا ابن عشرين وكُنّ أمهاتي يَحْثُثْنني على خدمة رسول اللَّه ﷺ[(١)].

فصحب أنس نبيه ﷺ أتمّ الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة.

- **مناقبه وفضله:**

عن أنس رضي الله عنه دخل النبي ﷺ على أم سُلَيم فأتته بتمر وسمن فقال: «**أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإني صائم**». ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة فدعا لأم سليم وأهل بيتها فقالت أم سليم: يا رسول اللَّه إن لي خويصة قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس. فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له، فإني لمن أكثر الأنصار مالًا، وحدثتني ابنته أُمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرين ومائة»[(٢)].

قال أبو العالية عن أنس رضي الله عنه: «**خدمه عشر سنين، ودعا له، وكان له بستان**

(١) أخرجه أحمد: (٣/١١٠)، ومسلم: (٢٠٢٩) (١٢٥)، وابن سعد: (٧/٢٠).
(٢) رواه البخاري: (١٩٨٢) (٤/١٩٨، ١٩٩)، في الصوم: باب من زار قومًا فلم يفطر عندهم.

يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك.

وعن أنس قال: دخل النبي ﷺ علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقال: قوموا فلأصلي بكم «في غير وقت صلاة» فصلى بنا فقال رجل لثابت: أين جعل أنسًا منه؟ قال: جعله عن يمينه. ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة فقالت أمي: يا رسول الله: خويدمك أنس ادع الله له. قال: فدعا لي بكل خير،وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**»[1].

وعن أنس: جاءت بي أم سُليْم إلى رسول اللَّه ﷺ قد أَزَّرتني بنصف خمارها، وردَّتني ببعضه فقالت: يا رسول الله! هذا أُنيْس ابني أتيتك به يخدمك، فادع اللَّه له. فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده**». فواللَّه إن مالي لكثير، وإن ولدي وولدَ ولدي يتعادُّون على نحو من مئة اليوم»[2].

وهو الوليّ مجاب الدعوة: عن ثابت: جاء قيِّمُ أرض أنس، فقال: عطشتْ أرضوك؛ فتردَّى أنس، ثم خرج إلى البرية، ثم صلى، ودعا، فثارت سحابة، وغشيت أرضه ومَطَرَت، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تَعْدُ أرضه إلا يسيرا»[3].

قال الذهبي: هذه كرامة بيِّنة ثبتت بإسناديْن[4].

- **جهاده:**

خرج أنس مع رسول اللَّه ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه.

---

(١) أخرجه مسلم: (٦٦٠)، وأحمد: (٢٤٨/٣)، وعبد بن حميد: (١٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٤٨١) (١٤٣) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أنس بن مالك.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦٥/٩) وابن سعد في الطبقات: (٢١/٧).

(٤) السير: (٤٠١/١).

قال الذهبي: لم يَعُدَّه أصحاب المغازي في البدريين لكونه حضرها صبيا ما قاتل، بل بقى في رِحال الجيش. فهذا وجه الجمع.

عن موسى بن أنس أن أنسًا غزا ثمان غزوات[١].

وعن بعض غزواته هذه قال أنس: شهدتُ مع رسول اللَّه ﷺ الحديبية وعمرته والحج والفتح وحنينا وخيبر[٢].

قال الذهبي: وقد شهد أنس فتح تستر. فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان، فأسلم وحسن إسلامه رحمه الله[٣].

- **قائد الخيل يوم فتح «تستر»**

قال البلاذري: «سار أبو موسى إلى تستر وبها شوكة العدو وحدّهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه في أهل الكوفة فقدّم عمار جرير بن عبداللَّه البجلي، وسار حتى تستر، وعلى ميمنته يعني ميمنة أبي موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وعلى ميسرته مجزأة بن ثور السدوسي، وعلى الخيل أنس بن مالك. . .»[٤] وفيها صبر المسلمون لأعدائهم المشركين وحاصروهم نحوًا من سنة وزاحفوهم أكثر من ثمانين زحفا. . وأقرّ اللَّه أعين عباده المؤمنين بالنصر.

- **خادم رسول يسوق كبير الفرس وقائدهم في قيوده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

لما فُتحت تستر لجأ الهرمزان إلى القلعة، فتبعه جماعة من الأبطال،فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلفه أو تلفهم، قال لهم بعدما قتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور - رحمهما اللَّه -: إنّ معي جَعَبَة فيها مائة سهم، وإنه يتقدّم إليّ أحد

(١) تاريخ دمشق: (٣٦٢/٩).
(٢) تاريخ دمشق: (٣٦١/٩).
(٣) سير أعلام النبلاء: (٤٠٢/١).
(٤) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٧٣.

منكم إلا رميته بسهم فقتلتُه، ولا يسقط لي سهم إلّا في رجل منكم، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلت منكم مائة رجل؟

قالوا: فماذا تريد؟ قال: تُؤمِّنوني حتى أُسلمكم يديّ فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب، فيحكم فيّ بما يشاء. فأجابوه إلى ذلك، فألقى قوسه ونُشَّابه وأسروه، فشدُّوه وثاقًا وأرصدوه ليبعثوه إلى أمير المؤمنين عمر(١)

عن أنس قال : حاصرنا تستر فنزل الهرمزان فكنتُ الذي أتيت به إلى عمر، بعث بي أبو موسى، فقال له عمر: تكلم، فقال: أكلام حي أم كلام ميت، فقال: تكلم لا بأس، فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خلّى الله بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان، فقال عمر: ما تقول يا أنس: قلت: تركت خلفي شوكة شديدة وعدوًّا كلبا، فإن قتلته يئس القوم من الحياة، فكان أشد لشوكتهم ، وإن استحييته طمع القوم في الحياة، فقال عمر: يا أنس سبحان الله، قاتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، قلت: فليس لك إلى قتله سبيل، قال: ولم أعطاك أصبت منه، قلت: ولكنك قلت له: لا بأس، فقال: متى، لتجيئن معك بمن شهد، وإلا بدأت بعقوبتك، فقال: فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذي حفظت ، فشهد لي، فخلى سبيل الهرمزان فأسلم وفرض له عمر(٢) .

فرضي الله عن الإمام القدوة راوية الإسلام خادم رسول الله ﷺ والقائد مجاب الدعوة: أنس بن مالك رضي الله عنه

* * *

(١) البداية والنهاية: (٦١/١٠).

(٢) فتوح البلدان: ص ٢٧٤.

(٤١٠) الإمام القدوة الشهيد . .
صاحب رسول اللَّه ﷺ . . مَن كانت تُسَلمُ عليه الملائكة. .
قائد الخيل في فتح «إصطخر» مرة ثانية
أبو نُجَيْد عمران بن حُصَيْن الخزاعي رضي الله عنه

هو الصحابي الجليل عمران بن حُصَيْن بن عُبيد بن خلف بن عَبْد نُهْم بن حذيفة بن جَهْمَة بن غاضرة بن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي.

وعند أبي عمر: عبد نهم بن سالم بن غاضرة، ويُكنى أبا نُجَيْد(١).

- **إسلامه:**

كان إسلامه عام خيبر.

وقال الطبراني: أسلم قديما هو وأبوه وأخته، وكان ينزل ببلاد قومه، ثم تحوّل إلى البصرة إلى أن مات بها.

- **جهاده:**

غزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح قاله البرقي.

عن أبي الأسود الدؤلي؛ قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن حصين، وكان عمر بعثه ليفقه أهلها(٢).

في سنة ٢٩هـ نقض أهل فارس عهدهم ونكثوا بعُبيد اللَّه بن معمر، فسار إليهم فالتقوا على باب إصطخر فقتل عبيداللَّه وانهزم المسلمون، وبلغ الخبر عبداللَّه بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس إلى فارس فالتقوا بإصطخر، وكان على ميمنته أبو برزة الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن

---

(١) الإصابة: (٥٨٤/٤) ت (٦٠٢٤)، وأسد الغابة: (٢٦٩/٤) ت (٤٠٤٨).

(٢) الإصابة: (٥٨٥/٤).

الحصين ولكلهم صحبة ـ واشتد القتال فانهزم الفرس، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحت إصطخر عنوة، وأتى دارابجرد وقد غدر أهلها ففتحها، وسار إلى مدينة جور وهي أردشيرخرّة فانتقضت إصطخر فلم يرجع وتمم السير إلى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها.

وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجرّه وعَدَا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفيّ، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منها وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلى إصطخر ففتحها عنوة بعد أن حاصرها واشتد القتال عليها؛ ورُميت بالمجانيق قتل بها خلقا كثيرا من الأعاجم وأفنى أكثر أهل البيوتات، ووجوه الأساورة وكانوا قد لجأوا إليها.

وقيل: إن أهل إصطخر لما نكثوا عاد إليها ابن عامر قبل وصوله إلى جور، فأتى إلى جور فملكها عنوة وعاد إلىجور، فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة أيضا، ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذلّ، وكتب إلى عثمان بالخبر(١).

وقال البلاذري: «توجه ابن عامر إلى إصطخر، ووجه مقدمته عبيد اللّه بن معمر التيمي فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدُفِن في بستان امجرد، وبلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتى واقعهم وعلى ميمنته أبو برزة نضلة بن عبداللّه الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار المزني، وعلى الخيل عمران بن الحصين الخزاعي وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهبي فقاتلهم فهزمهم حتى أدخلهم إصطخر وفتحها اللّه عنوة، فقُتل فيها نحوًا من مائة ألف، وأتى دارابجرد ففتحها وكانت منتقضة(٢).

---

(١) الكامل: (٢/٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٢) فتوح البلدان: ص ٣٨٢.

- **الإنسان:**

قال محمد بن سيرين: لم نر في البصرة أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يُفضَّل على عمران بن حصين وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة، وكان في مرضه تُسلِّم عليه الملائكة فاكتوى ففقد التسليم ثم عادت إليه، وكان به استسقاء فطال به سنين كثيرة، وهو صابر عليه، وشُقّ بطنه، وأخذ منه شحم، وثُقب له سرير فبقى عليه ثلاثين سنة، ودخل عليه رجل[١] فقال: يا أبا نُجَيْد، واللَّه إنه ليمنعني من عِيَادتك ما أرى بك! فقال: يا ابن أخي، فلا تفعل فواللَّه إن أحبّ ذلك إليّ أحبه إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[٢].

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال: ما قدم البصرة أحد يفضَّل على عمران بن حصين[٣].

وعن مطرف: قال لي عمران في مرضه: إنه قد كان يُسَلِّم عليّ، فإن عشتُ، فاكتم عليّ[٤].

وقال ابن سيرين: سَقَى بطنُ عِمران بن حُصين ثلاثين سنة، كل ذلك يُعَرض عليه الكيّ، فيأبى، حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى.

قال مطرف: قال لي عمران: أشعرتَ أن التسليم عاد إليّ؟ قال: ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى مات[٥].

وقضى عمران على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليّ بِجَوْر، وما أَلَوْت. قال: وكيف؟ قال: شُهِدَ عليّ بزور: فهو في مالي، واللَّه لا أجلس مجلسي هذا

---

(١) هو مطرف.

(٢) أسد الغابة: (٢٦٩/٤ - ٢٧٠).

(٣) طبقات ابن سعد: (٢٨٧/٤)، والطبراني بسند صحيح.

(٤) المستدرك: (٤٧٢/٣).

(٥) طبقات ابن سعد: (٢٨٩/٤).

أبدا[١].

وكان الحسن يحلف أنه ما قدم البصرة والسَّرْوَ[٢] خيرٌ لهم من عمران فرضي اللَّه عن الصحابي الولي مجاب الدعوة من كانت تُسَلِّم عليه الملائكة وقائد الخيل في فتح إصطخر ثانية عمران بن حُصَينْ الخزاعي.

- **وختم اللَّه لبطلنا بالشهادة:**

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**القتل في سبيل اللَّه شهادة، والطاعون شهادة، والبطن شهادة، والغرق شهادة، والنفساء شهادة**»[٣].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون والغرق والبطن والحرق والنفساء شهادة لأمتي**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[٥].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٥١٠)، وطبقات ابن سعد: (٤/٢٨٧).

(٢) السرو: منازل حمير، عدة مواضع: سرو حميْر، وسرو العلا، وسرو قَنْدَد، وسَرْو لبن، وسرو الملا، وسرو صنعا، وسرو السواد بالشام، وسرو الوعل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٤١١) الصحابي البطل قائد الميمنة في فتح إصطخر ثانية أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه

هو صاحب النبي، نضلة بن عُبيد على الأصح. وقيل: نضلة بن عمرو، وقيل: نضلة بن عائذ، ويُقال: ابن عبد الله. وقيل: عبداللَّه بن نضلة. ويُقال: خالد بن نضلة(١).

وقال ابن سعد: اسمه فيما ذكر محمد بن عمر عن بعض ولد أبي برزة عبداللَّه ابن نضلة، وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من أهل العلم: اسمه نضلة بن عبدالله(٢) وقال ابن الأثير: نضلة بن عُبيد بن الحارث بن جبال بن ربيعة ابن دعْبِل بن أنس بن خزيمة بن مالك بن تلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي(٣).

أسلم قديمًا.

- **جهاده:**

«شهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحنينا، وغزا خراسان»(٤).

وقال ابن سعد: قال محمد بن عمر: لم يزل أبو برزة يغزو مع رسول اللَّه ﷺ إلى أن قُبض، فتحول إلى البصرة فنزلها حين نزلها المسلمون، وبنى بها دارا، وله بها بقيّة، ثم غزا خراسان فمات بها(٥).

قال أبو نعيم: هو الذي قتل عبد العُزَّى(٦) بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/٤٠).
(٢) طبقات ابن سعد: (٤/٢٢٣).
(٣) الكامل: (٥/٣٠٥).
(٤) الكامل: (٥/٣٠٥).
(٥) ابن سعد: (٤/٢٢٤).
(٦) زاد المعاد: (٣/٤٤١)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٤٠)، وسمّاه ابن هشام: (٢/٤٠٩)، والطبري: (٣/ ٥٩، ٦٠)، ومحمد بن سعد: عبدالله.

النبي[(١)] ﷺ.

وعن الأزرق قال: كنت مع أبي برزة بالأهواز، فقام يصلي العصر، وعنان فرسه بيده، فجَعَلَتْ ترجعُ، وجعل أبو برزة ينكص معها. قال: ورجل من الخوارج يشتمه، فلما فرغ، قال: إني غزوت مع رسول الله ﷺ ستًّا أو سبعا، وشهدت تيسيره»[(٢)].

وقد مرّ في ترجمة عمران بن حُصين. أنه في سنة ٢٩ هـ نقض أهل فارس عهدهم، ونكثوا بعبيد الله بن معمر، فسار إليهم فالتقوا على باب إصطخر فقُتل عبيد الله وانهزم المسلمون، ولما بلغ الخبر ابن عامر استنفر أهل البصرة، وسار بالناس إلى فارس، فالتقوا بإصطخر، وكان على ميمنته أبو برزة الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن الحصين، واشتد القتال فانهزم الفرس وقتلوا مقتلة عظيمة، وفتحوا إصطخر عنوة ثم فتحوا دارابجرد،ثم أردشيرخرة ثم لما نقضت إصطخر عادوا إليها ففتحوها عنوة، ورزق الله عباده النصر وذل أهل فارس مذلة عظيمة[(٣)].

وشهد أبو برزة حرب الحَرُورية الخوارج مع علي رضي الله عنه[(٤)] بالنهروان.

- **أبو برزة الإنسان:**

كان أبو برزة وأبو بكرة متواخيين[(٥)].

وكانت لأبي برزة رضي الله عنه حفنة من ثريد غُدْوة وجفْنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين[(٦)].

---

(١) ابن سعد: (٢٢٣/٤).

(٢) تاريخ دمشق: (٩٤/٦٢).

(٣) انظر الكامل: (٤٩٢/٢ - ٤٩٣)، وفتوح البلدان ص ٣٨٢.

(٤) سير أعلام النبلاء: (٤١/٣).

(٥) طبقات ابن سعد: (٢٢٤/٤).

(٦) المصدر السابق.

وكان يقوم إلى صلاة الليل، فيتوضأ ويوقظ أهله رضي الله عنه[١].

وكان أبو برزة رضي الله عنه عند يزيد بن معاوية لما أُتي برأس الحسين بن علي، فرآه أبو برزة وهو ينكتُ ثغر الحسين بقضيب في يده، فقال: لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذًا ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولّى[٢].

فللّه دره من آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، ومن في الناس مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

عن عبدالله بن بريدة قال: قال عبيد الله بن زياد: من يخبرنا عن الحوض؟ فقال: ها هنا أبو برزة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو برزة رجلًا مسمنا فلما رآه قال: إن مُحَمَّدِيَّكُم هذا لدحداح. قال: فغضب أبو برزة وقال: الحمد لله الذي لم أمت حتى عُيِّرتُ بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء مغضبًا حتى قعد على سرير عبيدالله فسأله عن الحوض فقال: نعم، فمن كذب به فلا أورده الله إياه، ولا سقاه الله إياه، ثم انطلق مغضبًا[٣].

- **أما عن رحمته وشفقته على خدمه:**

فقالت أم الحسن بن حكيم الثقفي - وكانت أَمَة لأبي برزة: كان أبو برزة يقوم من جوف الليل إلى الماء، فيتوضأ لا يُوقظ أحدًا من خدمه، وهو شيخ كبير ثم يصلي[٤].

- **أما عن أدبه وتوقيره لإخوانه:**

فعن ثابت البناني أن أبا برزة كان يلبس الصوف، فقال رجل: إن أخاك عائذ

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/٤٢).
(٢) أسد الغابة: (٥/٣٠٥ - ٣٠٦).
(٣) ابن سعد: (٤/٢٢٤ - ٢٢٥).
(٤) تاريخ دمشق: (٦٢/٩٩).

ابن عمرو يلبس الخزّ وهو يرغب عن لباسك، قال: ويحك، ومن مثل عائذ، ليس مثله، ثم أتى عائذا فقال: إن أخاك أبا برزة يلبس الصوف ويرغب عن لباسك، قال: ويحك، مَن مِثل أبي برزة، وليس مثله، فمات أحدهما، فأوصى أن يصلي عليه الآخر.

قال الذهبي: هكذا كان العلماء يوقرون أقرانهم[١].

- **ورزقه اللَّه الشهادة:**

بموته في الغزو، وبقتاله للخوارج مع على في النهروان فقد قال رسول اللَّه ﷺ عن الخوارج: «**من قتلهم فله أجر شهيد، ومن قتلوه فله أجر شهيد**»[٢]

أو بموته في خراسان بعد الغزو، كما جاء في طبقات ابن سعد: «**غزا خراسان فمات بها**»[٣].

عن أبي مالك الأشعري: قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «**من فصل في سبيل اللَّه فمات، أو قُتل أو وَقَصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه، بأي حتف شاء الله؛ فإنه شهيد وإن له الجنة**»[٤].

فرضي اللَّه عن أبي برزة الأسلمي صاحب رسول اللَّه ﷺ وجعل الجنة مثواه.

* * *

(١) تاريخ دمشق: (٦٢/٩٩)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٤٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد وأبي هريرة وقال الحافظ في الفتح: (١٢/٣١٦)؛ بسند جيد.

(٣) ابن سعد: (٤/٢٢٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٤١٢) الصحابي قائد الميسرة في فتح إصطخر ثانية أبو علي معقل بن يسار المزنيّ[١] رضي الله عنه

هو الصحابي معقل بن يسار بن عبدالله بن مُعبّر بن حُرّاق بن لأي بن كعب ابن عيد ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان بن مُزَينة ـ يُكنى أبا عبدالله، وأبا علي. ويُقال لولد عثمان وأوس ابني عمرو: مزينة، نُسبوا إلى أمهم مُزَيْنة بنت كلب بن وبرة وهو صاحب نهر معقل أمر عمر بن الخطاب بحفره فحفره.

أسلم قبل الحديبية.

- **جهاده:**

شهد رضي الله عنه بيعة الرضوان[٢]. . . .وبايع النبي ﷺ ألا يفر[٣].

وفي سنة ٢٩ هـ برز اسم بطلنا كقائد من قواد جيش ابن عامر سنة ٢٩ هـ في فتح إصطخر، إذ أن أهل إصطخر نقضوا عهدهم مع المسلمين، فتوجه ابن عامر إلى إصطخر، ووجه على مقدمته عبيدالله بن معمر التيمي فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدُفن في بستان رامجرد، وبلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتى واقعهم وعلى ميمنته أبو برزة نضلة بن عبدالله الأسلمي، وعلى ميسرته معقل بن يسار المزني، وعلى الخيل عمران بن الحصين الخزاعي، وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهبي فقاتلهم فهزمهم حتى أدخلهم إصطخر وفتحها الله عنوة، فقتل فيها نحوًا من مائة ألف، وأتى ابن عامر دارابجرد ففتحها[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد: (١٠/٧)، وأسد الغابة: (٢٢٤/٥) ت (٥٠٣٨)، والإصابة: (١٤٦/٦) ت (٨١٦٠)، وسير أعلام النبلاء: (٥٧٦/٢).

(٢) الإصابة: (١٤٦/٦).

(٣) أسد الغابة: (٢٢٤/٥).

(٤) فتوح البلدان: ص ٣٨٢، وانظر الكامل: (٤٩٢/٢ ـ ٤٩٣).

- **الإنسان:**

لله در أصحاب محمد ﷺ في جهادهم وفي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

عن الحسن قال: عاد عبيد اللَّه بن زياد مَعِقل بن يسار في مرضه الذي قُبض فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثا لو علمتُ لي حياة ما حدّثتك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ـ «**ما مِن عبد يسترعيه اللَّه رعية يموت يوم يموت غاشًّا لرعيته إلا حرّم اللَّه عليه الجنة**»[1]. فأسكن اللَّه أعلى الجنان للصحابي معقل بن يسار المزني المبايع بيعة الرضوان ألا يفر عند الطعان.

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة: (٢١) وهو عند البخاري: (٩/٨٠)، والدارمي: (٢/٣٢٤)، والبيهقي: (٩/٤١).

(٤١٣) الصحابي الشهيد القائد
الجارود بن المعلى العبدي
شهيد معركة طاوس رضي الله عنه

هو سيّد عبد القيس أبو المُنذر؛ ويُقال أبو غيّاث الجارود بن المعلى، واسمه بشر بن عمرو بن حَنَش بن المعلّى وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن خذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار.

ولُقّب بالجارود لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم، قال الشاعر:

فدُسناهُمُ بالخيل من كُلِّ جانب كما جرّد الجارودُ بكر بَن وائل

وحكى ابن السَّكَن أن سبب تلقيبه بذلك أن بلاد عبد القيس أجدبَت وبقي للجارود بقية من إبله، فتوجّه بها إلى بني قديد بن شيبان، وهم أخواله، فجربت إبل أخواله، فقال الناس: جردهم بشرب فلقب بالجارود[١].

وأم الجارود درقلة بنت رويم أخت يزيد بن رُويم أبي حَوْشَب بن يزيد الشيباني وكان الجارود شريفا في الجاهلية.

- **إسلامه وجهاده:**

قدم الجارود سنة عشر في وفد عبد القيس الأخير وكان نصرانيا فأسلم وسُرَّ النبي ﷺ بإسلامه. وروى الطبراني من طريق زَرْبّى بن عبدالله بن أنس، قال: لما قدم الجارود وافدًا على رسول الله ﷺ فرح به وقرّبه وأدناه.

وقال ابن إسحاق في المغازي: كان حسن الإسلام صليبا على دينه.

وروى الطبراني عن الجارود قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن لي دينًا فلي إن تركت ديني ودخلتُ في دينك ألا يعذبني الله؟ قال: نعم.

(١) طبقات ابن سعد: (٢١/٦)، والإصابة: (٥٥٢/١ - ٥٥٣) ت (١٠٤٤).

وكان الجارود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صهر أبي هريرة.

قال أبو عمر: من محاسن شعره:

شَهِدْتُ بأن اللَّه حقٌّ وسامَحَتْ ... بَنَاتُ فؤادي بالشَّهَادةِ والنَّهْضِ

فأبلغْ رسولَ اللَّه عني رسالةً ... بأني حَنِيفٌ حيث كُنتُ من الأَرْضِ

فإنْ تكنْ داري بيثربَ فيكُمُ ... فإني لكم عند الإقامة والخَفْضِ

وأجعل نفسي دُونَ كلِّ مُلِمَّةٍ ... لكم جُنَّةً من دُونِ عرضكمُ عرضي[1]

وكان الجارود قد أدرك الرِّدة فلما رجع قومه مع المعرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام وقال: يا أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا عبده ورسوله وأكفرُ من لم يشهد.

رضينا بدين اللَّه من كل حادثٍ ... وباللَّه الرحمن نرضى به ربًّا[2]

- **بثبات الجارود نجىّ اللَّه عبد القيس من الردة:**

لما قدم الجارود بن المعلى العبدي على النبي ﷺ وتفقهَّ ردّه إلى قومه عبد القيس فكان فيهم. فلما مات النبي ﷺ وكان المنذر بن ساوى العبدي مريضًا فمات بعد النبي بقليل، فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين، فأما بكر فتمت على ردتها، وأما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبيا لم يمت؛ فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا قال: فإن محمدا ﷺ قد مات كما ماتوا؛ وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول الله. فأسلموا وثبتوا على الإسلام[3].

اجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثبت قدمه على

---

(١) الإصابة: (١/٥٥٢).

(٢) الطبقات الكبرى: (٧/٦٠).

(٣) الكامل (٢/٢٢٥).

الصراط كما ثبّت اللَّه به عبد القيس على الإسلام. وهذه فضيلة ومنقبة عظيمة للجارود ويليها مواقف أخر وخاتمتها الشهادة في سبيل اللَّه من صفا صُفِّي له ومن كَدَّر كُدِّر عليه ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال، وكان له من الولد المنذر وحبيب وغيّاث وأمهم أمامة بنت النعمان من الخصفات من جذيمة، وعبداللَّه وسَلْم وأمّهمَا ابنة الجد أحد بني عائش من عبد القيس، ومسلم والحكم. وكان ولده أشرافا.

- **استشهاده:**

قال ابن سعد: «وجه الحكم بن أبي العاص الجارود على القتال يوم «**سُهْرَك**» فقُتِل في عقبة الطين شهيدًا سنة عشرين، ويُقال لها عقبة الجارود[1].

وقال ابن حجر: «قُتِل بأرض فارس بعقبة الطين، فصارت يُقال لها عقبة الجارود، وذلك سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر. وقيل: قُتِل بنهاوند مع النعمان بن مقرن[2].

وقيل: إن عثمان بن أبي العاص بعث الجارود في بعث إلى ساحل فارس،فقُتِل بموضع يعرف بعقبة الجارود[3].

- **استشهاده:**

في سنة سبع عشرة من الهجرة ندب العلاء بن الحضرمي الناس على حرب فارس فاستجاب له أهل بلاده، فجزّأهم أجزاءً، فعلى فرقة الجارود ابنَ المُعَلَّى، وعلى الأخرى السوار بن همام، وعلى الأخرى خُلَيْد بن المنذر بن ساوَى، وخُليد هو أمير الجماعة.

فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك ـ وكان عمر

---

(١) طبقات ابن سعد: (٨٣/٦، ٦٠/٧).

(٢) الإصابة: (٥٥٣/١).

(٣) أسد الغابة: (٤٩٩/١).

يكره ذلك؛ لأنه لا رسول الله ﷺ ولا أبا بكر أغزيا فيه المسلمين - فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خُليْد بن المنذر، فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم إنما جئتم لمحاربتهم فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥] فأجابوه إلى ذلك، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم،فاقتتلوا قتالا شديدًا في مكان من الأرض يُدْعَى «**طاوس**» [فقُتِل سوار والجارود][(١)]، ثم أمر خُلَيْد المسلمين فترجّلوا، وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا، فقتلوا فارس مقتلة لم يُقتلوا قبلها مثلها ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلا، وأخذ أهل إصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو»[(٢)] ثم جاءهم المدد من عتبة في إثنى عشر ألفا وعلى الجميع سبرة بن أبي رهم فأتوا إلى خليد أحوج ما كان إليهم، واستنقذوا خليدا ومن معه من المسلمين.

وختم اللَّه حياة الجارود بالشهادة في سبيله فعاش شريفا ومات شريفا رضي الله عنه

* * *

(١) ما بين القوسين من الكامل: (٢/٣٨٣).

(٢) تاريخ الطبري: (٤/٧٩ - ٨٣)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٤ - ٥٥)، والكامل: (٢/٣٨٢ - ٣٨٣).

(٤١٤) الصحابي القائد
خُليد بن المنذر بن ساوى العبدي
قائد الجيش في نصر «طاوس»

هو الصحابي خُلَيْد بن المنذر بن سَاوَى بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبداللَّه بن زيد بن عبداللَّه بن دارم التميمي الدارمي.

كان والده ملك البحرين أرسل إليه الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب قبل فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه والأكثرون من أهل العلم أنه لم يكن في الوفد الذي أتى النبي ﷺ، وإنما كُتب معهم بإسلامه. ولما استقدم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي، واستخلف المنذر بن ساوى مكانه.

قال الرشاطي: لم يذكره ابن عبدالبر، وقال ابن حجر: هو على شرطه، ولو لم يثبت أنه وفد[١] أما بطلنا خليد فهو صحابي قال ابن حجر في ترجمته في الإصابة «ذكر الطبري أن العلاء بن الحضرمي أمّره على جماعة ووجّهه في البحر إلى فارس سنة سبع عشرة. . . قلت. وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمِّرون إلا الصحابة، فدلّ على أن لخُليد وفادة واللَّه أعلم»[٢].

● **جهاده:**

قد ذكرنا في ترجمة الجارود ما كان من أمر العلاء بن الحضرمي سنة سبع عشرة من الهجرة وإرساله الناس إلى فارس، وتفريقه إياهم أجنادًا على أحدها الجارود بن المعلى، وعلى الآخر سوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوَى، وخُليْد على جميع الناس. فعبروا من البحرين إلى فارس فخرجوا إلى

---

(١) انظر الإصابة: (١٦٩/٦ - ١٧٠).
(٢) الإصابة: (٢٨٨/٢) ت (٢٢٩٠).

إصطخر وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهربذ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فخطبهم، ثم قال: «أما بعد فإن القوم لي يدعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥] فأجابوه إلى ذلك. ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدًا بمكان يُدْعَى «**طاوس**» فقُتِل سوار والجارود، وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجّالة ففعلوا فقُتِل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها، ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدوا في الرجوع في البحر سبيلا، وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم.

ولما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان بإنفاذ جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: «فإني قد أُلْقِي في رَوعي كذا وكذا» نحو الذي كان، وأرسل عتبة جيشا كثيفا في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هَرْثمة، وحذيفة بن محصن، والأحنف بن قيس، وغيرهم في اثني عشر ألفا، وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رُهْم. فخرجوا على البغال يُجنُبُون الخيل سراعات فساروا على الساحل لا يَلْقَون أحدًا، حتى انتهوْا إلى طاوس وإذا خُلَيد بن المنذر ومَن معه من المسلمين محصورون، قد أحاط بهم العدو من كل جانب، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمدادُ المشركين، ولم يبق إلا القتال، فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فألتقوْا مع المشركين رأسا، فكسر أبو سبرة وخليد المشركين كسرةٍ عظيمة، وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة جدا، وأخذوا منهم أموالًا جزيلة باهرة، وأعزّ اللَّه الإسلام وأهله، ودمغ الشرك وذَلّه، ولله الحمد والمنة»[1].

(١) انظر تاريخ الطبري: (٤/٧٩ - ٨٣)، والبداية والنهاية: (١٠/٥٤ - ٥٥)، والكامل: (٢/٣٨٢ - ٣٨٣).

لله در خليد نبت في الشجاعة وفي بيت الشجاعة، و«**العُودُ قد ينبُت في أصل العود**».

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه ويُزرع إلّا في منابته النخل

وسيذكر التاريخ لخُليد إقدامه وشجاعته ونصره العظيم في طاوس على جموع فارس وقتله إياهم مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها . . ويذكر صبره عند البأس، وحمايته لجنده حتى وصل مدد سبرة بنأبي رهم، ثم اشتراكه في المدد في قتل الفرس مقتلة عظيمة أيضا. فجزاه اللَّه خيرًا عن دينه، وشكر اللَّه له صنيعه ورضي عنه، وأسكنه أعالي الجنات.

* * *

(٤١٥) الصحابي الشهيد بطل معركتي طاوس سوار بن همّام رضي الله عنه

هو الصحابي سَوّار بن همام من بني مُرّة بن همام رضي الله عنه.

ذكر الرَّشاطي عن المدائني، أنه وفد على النبي ﷺ ثم حضر الفتوح بالعراق وله فيها ذكر وولده عبداللَّه استعمله معاوية على بعض الهند، فاستشهد هناك[١].

- **جهاده:**

مرّ في الترجمتين السابقتين أن العلاء بن الحضرمي جعله على طائفة من جنده ساروا من البحرين إلى فارس، وأنه قاتل أهل فارس قتالا شديدًا في «**طاوس**» سنة ١٧ هـ، وأنّ اللَّه مَنّ عليه بالشهادة هو والجارود في ذلك اليوم فرضى اللَّه عنهما وأنزلهما منازل الشهداء.

* * *

(١) الإصابة: (١٨٤/٣ ـ ١٨٥) ت (٣٦٠٣).